

الحلقة التاسعة

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. تحت عنوان التكنولوجيا والعولمة وراء الكآبة جاء التقرير التالي:

يقول تقرير صدر إن عددا متزايدا من الناس بدأوا يعانون من معدلات مرتفعة من الضغوط العصبية بسبب التغيرات التي طرأت وتطراً على البيئة والمحيط الجغرافي لموقع العمل. وهو ما يكلف الحكومات والشركات خسارة تقدر بمليارات الدولارات سنويا. وتوصلت منظمة العمل الدولية، وهي هيئة معنية بشؤون العمل والعمال التابعة للأمم المتحدة، إلى تلك النتائج عقب استبيان استمدت معطياته من مجموعة دراسة إحصائية وعملية تتعلق بالموضوع أجريت في خمس دول صناعية.

وتبين من الدراسة أن نحو عشرة بالمئة من البالغين يصابون، بفعل ظروف العمل الضاغطة، بأنواع من الإحباط المؤدية للكآبة كل عام. ففي بريطانيا مثلا يعاني ثلاثون في المئة من قوة العمل من شكل من أشكال الضغط النفسي أو الإحباط الذهني. وأدت هذه النتائج إلى توقع المنظمة الدولية حدوث ارتفاعات شديدة في الضغوط النفسية والكآبة الناتجة من ظروف العمل مع تطور التكنولوجيا واتساع رقعة وتيرة العولمة خلال المستقبل القريب. وتقول المنظمة إن ارتفاع معدلات الكآبة، الناتجة من ظروف العمل المهني، وصلت إلى حد مثير للقلق وربما خطير. وأصبح هذا المرض النفسي ثاني أكبر سبب للإعاقة المهنية بعد أمراض القلب.

وفي تقرير آخر أظهرت دراسة جديدة أجريت في مستشفى كوبنهاجن بالدانمارك أن الحالات المتكررة من الكآبة السريرية الشديدة، تزيد خطر الإصابة بالخرف. ووجد الباحثون بعد متابعة تسعة عشر ألف شخص مصابين بكآبة سريرية شديدة، من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٩٩، أن خطر الخرف ازداد بحوالي ١٣ ثلاثة عشر في المئة مع كل حالة متكررة من الاكتئاب الشديد.

صديقي المستمع، لقد كان توقع الإنسان دائما أن التقدم التكنولوجي سيخفف من متاعبه ومشاكله، لكن يبدو الآن أن العكس هو الصحيح. فلقد بدّل التقدم الصناعي من أجواء الطبيعة، مما أثر في المناخ، وأدى بالتالي إلى تغيير البيئة. وهذا بدوره قد أدى إلى ارتفاع وتيرة الضغوط العصبية في العمل، وإصابة العاملين بالإحباط والكآبة كما سمعنا. والحقيقة أن التقدم الصناعي الذي لا يبد منه طبعاً، قد أنتج العديد من الأمراض النفسية. فعندما أصبح الإنسان عبداً للآلة، ويخضع لأنظمة وقوانين صارمة أثناء العمل،

ازدادت متاعبه ومشاكله، ولم تنقص. ولعلّ السبب الرئيسي في ذلك أن المادة والقوانين الصارمة لا تستطيع أن تروي قلب الإنسان من الداخل.

روى لي أحدهم أنه عندما ذهب إلى زيارة بلد كبير في مهمة عمل، فوجئ أن العمال في المصنع الذي زاره، يعملون بكل جد ونشاط، إلى درجة أنهم لم يرفعوا رؤوسهم، ولم يلتفتوا إليه. أي كانوا كالألة، أو عقارب الساعة التي تعمل بدون أي توقف. إن صاحب العمل يريد من عماله أو موظفيه الدرجة القصوى من الإنتاج لكي يزيد من أرباحه. ولهذا يفرض عليهم القوانين الصارمة. وهم مجبرون على الخضوع لئلا يصبحوا عاطلين عن العمل، ولا يستطيعون تأمين قوت العيش لهم ولعائلاتهم. لهذا ليس غريبا أن نسمع عن ازدياد حالات الإحباط والكآبة عند العاملين. هذه الحالات التي تؤدي بدورها إلى توتر مسيرة العمل وانخفاض الإنتاج أو كمية العمل المطلوبة. وكل هذا يعود لأن الإنسان قد أصبح عبدا للمادة والآلة.

صديقي المستمع، هناك حقيقة أكيدة أن كل مادة ومال العالم وشهرته، لن تستطيع أن تروي قلب الإنسان، وتحل السعادة في داخله. وأن الإنسان بحاجة إلى ما يشبع قلبه من الداخل. فما هو هذا الأمر الذي يروي قلب الإنسان؟

التقى مرة المخلص المسيح بامرأة من السامرة عند بئر، فقال لها أعطيني لأشرب. وعندما استغربت المرأة سؤاله لأنه كان غريبا بالنسبة لها، أجابها المسيح قائلاً: " لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا. قالت له المرأة يا سيد لا دلوا لك والبير عميقة. فمن أين لك الماء الحي؟ " أجابها المسيح قائلاً: " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية." (راجع بشارة يوحنا ٤: ٧-١٤)

لقد ظننت هذه المرأة السامرية أن المسيح كان يتحدث عن ماء الشرب الطبيعي. لكن المسيح كان يشير إلى نوع آخر من الماء. الماء الذي يروي نفس الإنسان وقلبه من الداخل. الماء الحي الذي يعطي الإنسان السلام والطمأنينة والفرح الحقيقي. إن الإنسان في عصرنا يا صديقي يفتقد هذا النوع من الماء الحي. الماء الذي به يستطيع أن يواجه ضغوط الحياة بجميع أنواعها النفسية والمادية. ويحفظ نفسه بالتالي من الوقوع في حالة الإحباط والكآبة.

هل تدري يا صديقي ما هو هذا الماء الحي الذي أشار إليه المخلص المسيح؟ وما هي نوعيته؟ إنه رسالة الخلاص المفرحة

بواسطة المخلص المسيح، التي إن آمن بها الإنسان تحرره من عبودية الخطية، وينال على أساسها الغفران الكامل، والحياة الأبدية. وليس هذا فحسب، بل يصبح خليفة روحية جديدة، ويحل في داخله سلام الله العجيب وفرحه الدائم. وتغدو له علاقة سليمة مع الله خالقه. هذا هو الماء الحي الذي أراد المسيح من تلك المرأة السامرية أن تحصل عليه.

صديقي المستمع، هل تعاني من ضغوطات الحياة المتنوعة؟ وهل تمر في ظروف صعبة أو في ضيق معين؟ وهل تبحث عن السلام والراحة والفرح ولا تجدها؟ إنك بحاجة إذن لكي تشرب من هذا الماء الحي الذي قال عنه المخلص المسيح. تستطيع أنت يا صديقي أن تشرب هذا الماء الحي عندما تأتي تائباً إلى الله، وتؤمن بالمخلص المسيح. وعندها يغفر الله ذنوبك، ويمتلئ قلبك بفرح لا ينطق به ومجيد، ويغمرك سلام الله العجيب. فهل تأتي الآن وتشرب من هذا الماء الحي؟ نرجو أن نسمع منك قريباً اختبارك في هذا المجال.